روز

طالما كان يقول انه يريد أن يبني مزارا صغيرا تحت شجرة الجوز، تلك الشجرة المعمرة قرب بيتنا في البلدة. لكنه راح قبل أن يحقق حلمه.

أذكر انني كنت في بيت أهلي وكان طفلي في يومه الرابع من الحياة. أردت أن أعود الى بيتي بسرعة، لكن أمي أرادتني أن أبقى كي أكمل اسبوع الولادة. كنت ما زلت صغيرة وكانت صحتي تفور عافية. اتصلت بزوجي طالبة منه أن يأتي ليصطحبني الى بيتنا مع مولودنا الصغير. علمت انه غادر باتجاه بيت أهلي الواقع في بلدة مجاورة، الا ان زوجي لم يصل. كثير من حوادث الخطف سجلت ذلك النهار، لكن لم أعتقد يوما ان الخطف سيطالنا.

لم يصل زوجي الى بيت أهلي.

لم آبه لغيابه في اليوم الأول. اعتقدت انه ذهب الى بيروت، ذلك ان عمله كان يضطره أحيانا للذهاب الى العاصمة دون انذار. لم يكن هناك هاتف خليوي بعد، وقررت الانتظار اليوم الأول ثم الثاني...ثم...

لم أفهم ما جرى، ولم أعد أستطيع التركيز على أي شيء. لدي المولود الجديد، وشقيقته التي لم تكمل عامها الثاني بعد، والقصف الذي ما عاد يتوقف، والحي الذي بدأت أشعر بالغربة فيه. كنا العائلة المسيحية الوحيدة التي بقيت في البلدة. بقينا لأن لا مكان آخر لنا نذهب اليه. سبقتنا عائلة زوجي الى استراليا أما نحن فارتأينا اللحاق بها بعد أن أضع طفلي وأسجله على وثيقة سفري. بدل الهجرة الى استراليا، هاجر زوجي الى مكان أجهله ولا يعرفه الا الخاطفون. أما أنا فبقيت هنا.

بنيت له المزار حيث أراد دائما أن يكون. قمت ببنائه نفس اليوم الذي وقعت فيه على وثيقة تقول أن سمعان متوفي. صار لدي مكان أزوره الآن. طالما تساءلت أين أبكيه ان أردت ذلك؟ كنت أحتاج لشيء ما أضع رأسي عليه وابكي. أحتاج لبناء أو حتى لجدار صغير يرتفع في مكان معين ويحاط بالشموع. كان علي أنا أيضا أن أصنع ذلك الجدار. كان علي أن أضيء الشموع. الجميع بعيد عن هذا الهم. راح زوجي ولم يعد. خسرت الرجل وعلي الآن أن أصنع له قبرا. قبر ولو لم يكن فيه أثر لجثة. قبور المخطوفين فارغة كحياتي التي قضيت أجمل سنواتها بالإنتظار. رغم ذلك صرت أقول لنفسي: هنا يرقد سمعان. حتى اني صرت أضع الأزهار دائما امام المزار، وحين أتأخر في تغيير تلك التي ذبلت، أشعر أن سمعان زعل مني. أقترب من المزار وأروح أقول له "لا تزعل، أضطررت أن أبقى في بيروت فأنت تعلم ان امتحانات جورج المدرسية هذا الأسبوع، وكان علي البقاء معه، لذا لم أستطع زيارتك في نهاية الاسبوع كالعادة".

نعم! بعد عشر سنوات قررت توفيته. وقعت على وثيقة وفاته. أعلم بماذا تفكرين الآن. لا تنظري الي بعين اللوم! تقولين انني قاسية القلب، وان قلة من النساء اللاتي خطف أزواجهن قمن بهذا العمل. غيرك من افراد عائلتي فكر مثلك. لكنني لم أر أحدا منهم منذ مدة طويلة. ماذا كنت فعلت لو كنت مكاني بعدما توقفت الشركة عن دفع معاش سمعان؟

وثيقة أخرى من الكنيسة تشير الى حقي في الوصاية أعادت طفليّ الى عهدتي بعدما كان شقيق زوجي هو من يقرر فيما اذا كان يجب استخراج هوية لهما أو وثيقة سفر، أو حتى السماح لهما بالسفر. أنا بنظر القانون قاصرة مثل أطفالي وليس لي اي سلطة قانونية عليهم. دفعت أقساط ابني وابنتي في المدارس الخاصة، وأكملت بناء البيت الذي كان سمعان يحلم به ولم يكمله.

كل هذا من تعويض التوفية الذي قبضته من الشركة حيث كان يعمل.

أشعر بالخوف الآن. أفكر ماذا لو عاد سمعان؟ ماذا لو كان ما زال حيا؟ ماذا لو لامني على ما قمت به؟

أشعر بالخوف، وأعلم ماذا يقول الناس أيضا فأنا ما زلت في الأربعين، وألسنة الناس لا ترحم. يريدونني أن أبدو مغلوبة على أمري ومريضة وقليلة الحيلة.

اتركيني الآن أرجوك. أشعر برغبة في البكاء، ولا أستطيع البكاء أمام أحد.

ايمان حميدان يونس